ملاحظات على مقالة د. خيرية قاسمية

أود قبل كل شيء أن أثني على العدد الممتاز ٤٢/٤١ من المجلة ، وان كنت آمل لاسباب متعددة ان تكون صفحاتها أكثر انفتاحا على التيارات الوطنية الفلسطينية المختلفة .

سوف أقتصر رسالتي هذه على ما جاء في دراسة الدكتورة خيرية قاسمية « تاريخ حركة النضال الفلسطيني خلال فترة الانتداب » ، تلك الدراسة التي تنطلق في جوهرها من السؤال التي تطرحه في السياق « ترى ما هي المحاولات العربية الجادة في السنوات العشر الماضية لتسجيل تاريخ حركة النضال الفلسطيني في فترة الانتداب استنادا الى المصادر التاريخية الاولية ؟ »

اني اتفق مع الدكتورة خيرية ، وهي الباحثة القديرة، في معظم ما جاء في دراستها المشار اليها، الا اني أختلف معها في بعض النقاط التي وجدت من واجبي تبيانها تعميما للفائدة ، ووضعا للامور في نصابها . الملاحظة الاولى تتعلق بتقسيمها للاتجاهات الثلاثة في تسجيل تاريخ حركة النضال الفلسطيني : الحيادي والاعتذاري والانتقادي التحليلي . واعتقد مخلصا ان التوفيق جانب الدكتورة الجليلة عندما وصفت كتابي « تاريخ فلسطين الحديث » ضمن الاتجاه الاول على الرغم من قولها « الكتاب بمجموعه تصوير للصراع السياسي الذي خاضه الفلسطينيون منذ أواخر القرن الماضي وحتى ١٩٣٩ بأسلوب علمي رصين وبشجاعة وتجرد وموضوعية في معالجة مراحل الصراع » ، وعلى الرغم من قولها انه « يترك الاراء والتقييمات والاحكام الى صفحات الكتاب الاخيرة التي تحدد بنظرة عميقة مكثفة المفاهيم والخطوط العامة التي ألف الكتاب بقصد ابرازها».

وغني عن البيان ان في أقوالها تلك ما يؤكد علمية الاسلوب ووطنية الهدف . ولعل ما جاء في مراجعة الاستاذ ناجي علوش لكتابي (مجلة شؤون فلسطينية (العدد٢) ايار ١٩٧١) يزيد الامر وضوحا « ان الدكتور كيالي باعتماده على وثائق السلطات البريطانية او الحركة الصهيونية وعلى الصحف قد استطاع بما بذل من جهد ان يعرفنا بالكثير من غوامض تاريخنا ، وان يقدم لنا براهين واثباتات على ما كنا نصل اليه بالاستنتاج » .

أيكون ذلك حيادا أم موضوعية وهي موضوعية هادفة تخدم تبيان الحقيقة الناصعة لنضال شعبنا البطل بالدليل التاريخي الصحيح لا بالاستنتاج وحسب . ألا ترى معي الدكتورة خيرية أهمية دحض الادعاءات الصهيونية والرد على محاولات العدو المحمومة لتزييف تاريخنا وذلك بأسلوب علمي حاسم وتبيان المحتوى القومي الانساني والجوانب الاجتماعية والاقتصادية العامة لهذا النضال دون اللجوء الى الاسلوب التدريسي والى القوالب الجامدة والاحكام المسبقة . أين هو الحياد في سد هذا النقص الخطير بالنسبة لنا وللعالم . من هنا اقول ان التوفيق قد جانب الزميلة الفاضلة خصوصا وانها لا تجهل مواقعي داخل صفوف العمل الوطني الفلسطيني .

وفي مجال تعداد مصادر دراستي تقول الدكتورة انني ارتكزت « ارتكازا اساسيا على وثائق الحكومة البريطانية السرية بثقة زائدة رغم استعانته بمواد ارشيفية اخرى كالوثائق الصهيونية السرية والمصادر العربية المتوفرة » . وهنا لا بد من الملاحظة بأنه كان على المؤرخة المجتهدة ان تشير الى أن دراستي هي الاولى من نوعها من حيث استفادتها الكاملة من فتح الارشيف السري البريطاني والى أنني لم استخدم هذا الارشيف بثقة زائدة لانني رجعت الى كل المصادر الاولية المتاحة حيث انني كنت أول من جمع وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (انظر وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨ — ١٩٣٩ مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٦٨) وكنت من الذين انكبوا على مراجعة الجرائد العربية وهذا ما اشار اليه الاستاذ ناجي علوش في مقاله المشار اليه اذ قال « ان كتاب الدكتور كيالي يهدي الباحثين الى كنز من المعلومات بعودته الى عدد من الصحف الفلسطينية والعربية وخاصة جريدة الكرمل . ان هذا المصدر لم تجر الاستفادة منه حتى كتابة هذا الكتاب » .

والملاحظة الاخيرة تتعلق بتصنيف كتاب الاخ ناجي علوش من ضمن كتب التأريخ . انني شخصيا من الذين يقدرون للاخ ناجي نشاطه واجتهاداته ومن